

تدفقات هجرة المغادرة من بلدان الاتحاد الأوروبي نحو بلدان المغرب العربي بين 1998 و2012¹

Les flux des émigrations de L'Union Européenne vers les pays du Maghreb (1998-2012)

الملخص:

يبدو للوهلة الأولى أن الدراسات والتقارير المعروضة حول تيارات الهجرة وتدفقاتها بين ضفتي البحر المتوسط قد استوفت نصاب دراستها، وخاصة أن أغلبها يصف تدفقات المهاجرين المتجهة من شمال إفريقيا نحو أوروبا؛ إلا أن الهجرة تظهر في كل مرة بتيارات جديدة وأخرى متجددة تحتاج كلها إلى تمحيص وتدقيق.

يعرض هذا المقال وصف تيارات الهجرة من بلدان الاتحاد الأوروبي نحو دول المغرب العربي (الجزائر، والمغرب الأقصى، وتونس). ونحاول من خلال تحليل إحصائيات التدفقات التعرف على كل من الميزة والتركيبية البشرية للمهاجرين، مستثنين أساسا على المعطيات الكمية التي ينتجها كل من قسم الإحصائيات بالاتحاد الأوروبي وعلى تقرير جامعة الدول العربية الصادر سنة 2014 على امتداد عشرية من الزمن (1998-2012).

يتطرق العنصر الأول من المقال إلى مصادر الإحصائيات التي تصف تدفقات الهجرة من دول الاتحاد الأوروبي نحو دول المغرب العربي الثلاثة. يقدم العنصر الثاني ميزة المهاجرين المغادرين من الاتحاد الأوروبي بصفة عامة من حيث حجمهم الكلي وتصنيفهم ضمن مجموعات متجانسة العدد. ويخوض العنصر الثالث في التركيبة البشرية لهذه التدفقات من حيث أعمار المهاجرين وجنسهم وجنسياتهم. أما العنصر الرابع فيحلل حصة دول المغرب العربي من تدفقات المغادرين من الاتحاد الأوروبي.

الكلمات المفتاحية: تيارات الهجرة الخارجية، الهجرة من الشمال نحو الجنوب المغرب العربي، الاتحاد الأوروبي، التركيبة البشرية.

¹أوطالب نعيمة أستاذة باحثة حول الهجرة، تخصص الديمغرافيا، قسم علم الاجتماع، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة الجبلالي ليايس، سيدي بلعباس، الجزائر.

تدفقات الهجرة من بلدان الاتحاد الأوروبي نحو بلدان المغرب العربي بين 1998 و2012²

Les flux migratoires de L'Union Européenne vers les pays du Maghreb (1998-2012)

قد تبدو هجرة الأفراد من شمال البحر الأبيض المتوسط نحو البلدان الواقعة جنوبه قليلة العدد خلال السنوات الأخيرة مقارنة مع كثافتها الهامة التي كثيرا ما لازمت الحركات الاستعمارية على امتداد القرن التاسع وبدايات القرن العشرين، لتتراجع فيما بعد حتى تصل إلى أدنى مستوياتها بعد استقلال العديد من الدول الواقعة شمال أفريقيا. لا يعني أن هذه الهجرة قد أشرفت على نهايتها واندثرت بل وجدت لنفسها صفة جديدة، والتدفقات الحالية هي تقريبية لا تعكس العدد الفعلي للمهاجرين المغادرين المتوجهين نحو الجنوب.

وشأن الهجرة من الضفة الشمالية للبحر المتوسط نحو ضفته الجنوبية شأن ظاهرة الهجرة الدولية ككل لما تواجهه من نقص المصادر الموثقة للتدفقات الفعلية وقلة التسجيلات المحصية للعدد الصحيح الذي يعكس واقعها. وقد يرجع السبب كذلك إلى نقص الدراسات الميدانية وكذا التحليلية لهذا النوع من التدفقات، الذي اختفى في غالب الأمر وراء التنامي المتزايد للدراسات حول تيارات الهجرة المتوجهة من الجنوب نحو الشمال مقتفيه بذلك أثرها في بلدان المهجر. جعلتنا هذه العوامل وغيرها نستفسر عن ميزة وتركيبية تدفقات هجرة المغادرة من دول الاتحاد الأوروبي إلى دول المغرب العربي.

وكما هو معلوم حاليا لم تعد هذه التدفقات تحمل تلك الميزة الاستيطانية بوضوح بحكم أن دول المغرب العربي حصلت على استقلالها في منتصف القرن الماضي، لذلك نقصد بميزة التدفقات تلك الخصائص العامة لتيارات هجرة الأفراد من دول الشمال نحو دول الجنوب من حيث العدد والأسباب. ويتبادر لنا التساؤل والاستفهام عن حجمها وعن أسبابها ما إذا كانت هجرة عمالة أم هجرة استثمارية ذات طابع اقتصادي تتطلب الاستقرار لأزمة طويلة؟ هل هذه التدفقات شبيهة بتدفقات الأفراد من الجنوب نحو الشمال من حيث أنها هجرة عمالة مؤهلة وغير مؤهلة أو هجرة كفاءات ناقلة لخبراتها نحو بلدان الجنوب تحت غطاء هجرة العودة وغيرها من الأنواع المدروسة أم هي نوع جديد قائم بحد ذاته؟

أما فيما يخص التركيبة البشرية لهذه التيارات فسنحاول التعرف عليها من خلال تركيبة المغادرين إلى دول المغرب العربي من حيث السن والجنس والجنسيات والحالة المدنية والحالة الفردية وكذا المستوى الدراسي... الخ. إلا أن الإحصائيات المتاحة والمستعملة في هذا المقال قد لا تجيب على جميع التساؤلات الأنفة الذكر، وذلك نظرا لشح المعلومات ومحدودية الأرقام المنشورة، لكنها قد تصف لنا هذا النوع من التدفقات ولو باقتضاب.

يتناول العنصر الأول من المقال المصادر التي اعتمدها في وصف تدفقات الهجرة من دول الاتحاد الأوروبي نحو دول المغرب العربي الثلاثة بارتكازنا على الإحصائيات التي ينشرها لإتحاد الأوروبي دوريا وباستعمال تقرير الجامعة العربية (2014). ويكمله العنصر الثاني من خلال طرحه لميزة المهاجرين المغادرين من الاتحاد الأوروبي بصفة عامة من حيث حجمهم الكلي وتصنيفهم ضمن مجموعات متجانسة العدد. أما العنصر الثالث فيخوض مباشرة في التركيبة البشرية لهذه التدفقات من حيث أعمار المهاجرين وجنسهم وجنسياتهم. ويحلل العنصر الرابع حصة دول المغرب العربي الثلاثة من تدفقات المغادرين من الاتحاد الأوروبي وما إذا كانت هذه البلدان الثلاثة وجهتهم المفضلة.

1. مصادر إحصائيات تدفقات الهجرة من دول الاتحاد الأوروبي نحو دول المغرب العربي الثلاثة: حددنا دول شمال

البحر المتوسط من خلال عينة من دول الاتحاد الأوروبي التي تتواجد بها إحصائيات حول هجرة المغادرة من أراضيها، أما وجهة هذه التدفقات فهي دول المغرب العربي الثلاثة (الجزائر والمغرب وتونس) كعينة عن الدول الواقعة جنوب المتوسط. وجاء اختيار هذه الدول بسبب إمكانية الحصول على بعض الجداول الإحصائية

²أوطالب نعيمة أستاذة باحثة حول الهجرة، تخصص الديمغرافيا، قسم علم الاجتماع، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة الجبلالي ليايس، سيدي بلعباس، الجزائر.

المستخرجة من قاعدة بيانات قسم الإحصائيات بالاتحاد الأوروبي³ وذلك لتغطية المغادرين من دوله. واستخدمنا كذلك التقرير الإقليمي للهجرة الدولية العربية الذي نشرته جامعة الدول العربية سنة 2014 والمعنون "بالهجرة الدولية والتنمية"⁴ وذلك لحصر أرقام الوافدين إلى الجزائر وتونس والمغرب.

يجب أن ننوه أنه وبسبب نقص الإحصائيات في كافة الدول العربية استعملت جامعة الدول العربية قسم الإحصائيات بهيئة الأمم المتحدة وإحصائيات كل من البنك الدولي ومنظمة التعاون الاقتصادي والتنمية وبعض الاستبيانات الميدانية لتوسيع قاعدة بياناتها وتدعيم مصادرها في التقرير المذكور أعلاه.

2. ميزة المهاجرين المغادرين من الاتحاد الأوروبي:

1.2. الحجم الإجمالي لهجرة المغادرة من دول الاتحاد الأوروبي ما يمدد النظام الإحصائي الأوروبي بصفة عامة من معلومات حول هجرة المغادرة ككل من دول الاتحاد يعد جد محدود بسبب شح المعلومات الإحصائية على المستويات الوطنية لتصل بعد تجميعها إلى قسم الإحصائيات بالاتحاد الأوروبي بحجم قليل يصنفها وفقا للفئات العمرية، والجنس، والجنسيات والبلدان التي ولد بها الأفراد، إضافة إلى بلدان الإقامة القادمة، مع العلم أن هذه المتغيرات متفق عليها مسبقا استنادا إلى المعايير الأوروبية مع جميع البلدان الأعضاء في الاتحاد حسب المرسوم رقم 862|2007⁵.

يتسبب اعتماد العديد من الدول لتعريف مختلفة لهجرة المغادرة باختلافات تظهر مباشرة في الإحصائيات المنشورة في دول الاتحاد الأوروبي وكذلك في دول المغرب العربي (Musette et al., 2006). لم تكن بعض دول الاتحاد الأوروبي تحصي المغادرين منها إلا في السنوات الأخيرة كالليونان 2010، وكل من رومانيا وبلغاريا 2007، وفرنسا ومالطا 2006، وكذا إسبانيا 2002. واستنادا إلى ما تقدمه هذه الإحصائيات يمكن أن نصنف هجرة المغادرة من دول الاتحاد الأوروبي إلى أربع مجموعات وهي:

أ. **المجموعة الأولى** وهي تلك البلدان (ألمانيا، والمملكة المتحدة، وفرنسا) التي عرفت هجرة مغادرة معتبرة تجاوزت 100000 سنة 1998 لتصل إلى أكثر من 250000 سنة 2012. نجد من بين هذه البلدان ألمانيا التي عرفت استقرارا في حجم مغادريها طيلة 10 سنوات ما بين (600000 إلى أكثر من 700000 مغادر سنويا) لينخفض حجم المغادرين بسرعة ملحوظة ابتداء من سنة 2008 ليصل إلى أقل من 300000 سنة 2012. أما المملكة البريطانية المتحدة فقد عرفت هي الأخرى استقرارا في عدد المغادرين منها سنويا على امتداد 12 سنة وبأعداد أقل من سابقتها تراوحت ما بين (200000 وأكثر بقليل من 400000). وتصنف فرنسا حسب إحصائياتها التي نشرت متأخرة بكثير عن سابقتها وذلك ابتداء من 2006 في هذه المجموعة كذلك. تتميز هذه الدول بقدم الهجرة الدولية بها وعراقتها خاصة هجرة الوفود نحو أراضيها وذلك منذ منتصف القرن الماضي وهذا ما قد يعطي معنا آخر لهجرة المغادرة منها سنحاول أن نسلط عليه الضوء فيما سيأتي.

ومن الإحصائيات المتأخرة كذلك والمنشورة في السنوات الأخيرة فقط نجد ضمن المجموعة الأولى كل من رومانيا (نشرت إحصائياتها سنة 2008)، واليونان التي سجلت أعداد كبيرة للمغادرين في السنوات

³قاعدة البيانات الإحصائية الصادرة عن قسم الإحصائيات بالاتحاد الأوروبي الخاصة بهجرة المغادرة www.eurostat.ec.europa.eu
⁴جامعة الدول العربية (2014): "الهجرة الدولية والتنمية"، التقرير الإقليمي للهجرة الدولية العربية. نشر إدارة السياسات السكانية والمغتربين والهجرة، القطاع الاجتماعي، جامعة الدول العربية، القاهرة، 127 صفحة.

⁵ Règlement (CE) N° 862/2007 du parlement européen et du conseil du 11 Juillet 2007.

الأخيرة (نشرت الإحصائيات سنة 2010) أي بتأخر قارب العشر سنوات عن سابقتها في نشر البيانات. يجعلنا غياب الإحصائيات نطرح استفسارات عن واقع هجرة المغادرة قبل سنة 2008 بهذين البلدين.

ب. **المجموعة الثانية** تتميز بدول فاقت بها هجرة المغادرة 10000 سنة 1998 لتصل إلى أكثر من 250000 سنة 2012 التي أحصتها كل من إسبانيا التي نشرت إحصائياتها سنة 2002، وبولونيا سنويا خاصة ابتداء من سنة 2005 وقد يكون للأزمة الاقتصادية أثر في ذلك. أما إيطاليا وهولندا فقد عرفتا نوع من الاستقرار في هجرة مغادريها ما بين 1998-2012 بعدد تراوح ما بين 50000 إلى 100000 سنويا.

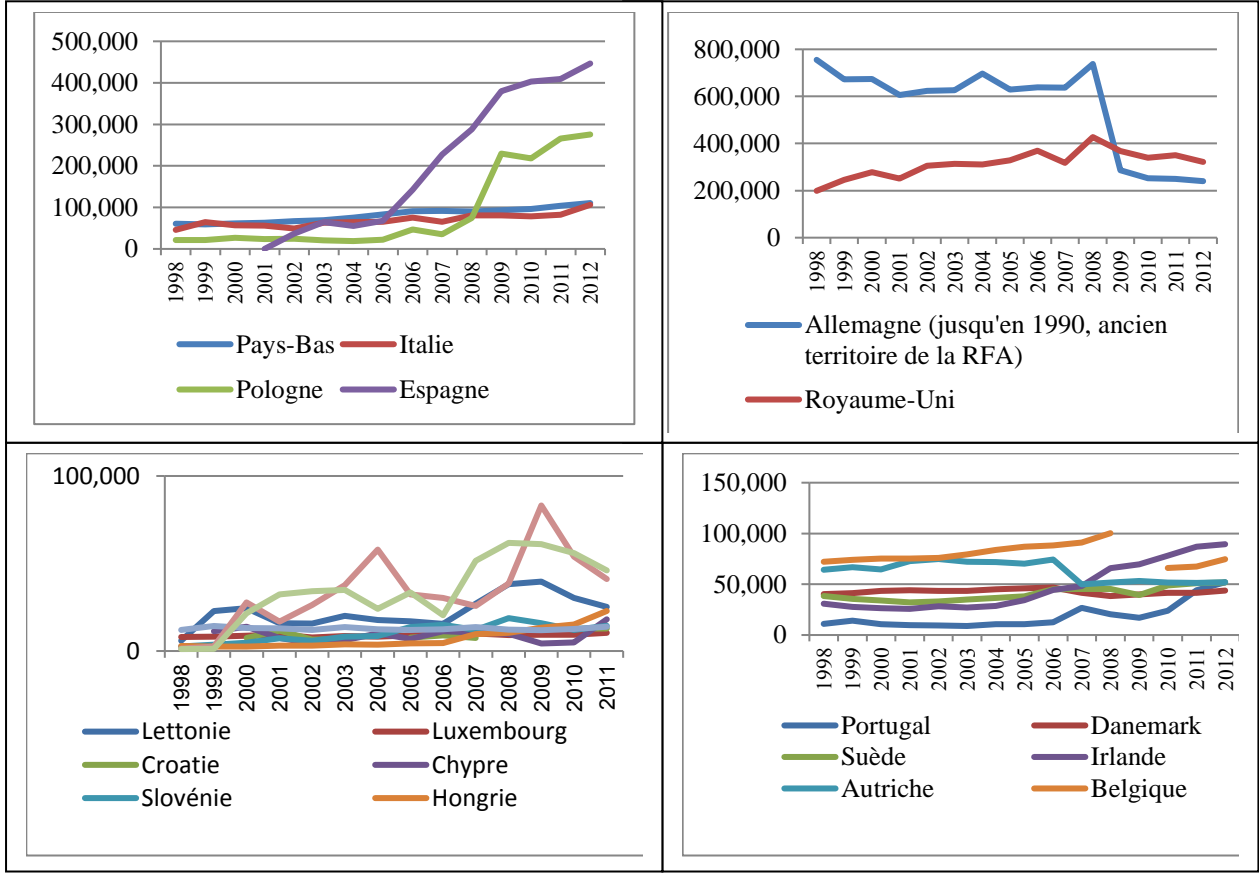
ج. **المجموعة الثالثة** تضم مجموعة الدول التي أحصت هجرة مغادرة ما بين 10000 سنة 1998 و90000 مغادر لأراضيها سنة 2012 وهي كل من السويد، والبرتغال، والنمسا، وإيرلندا، والدنمارك، وبلجيكا.

د. **المجموعة الرابعة** تضم دولاً عرفت تضخماً وتذبذباً في هجرة المغادرة بصورة سريعة ما بين 1998 و2012، أين انحصرت الأعداد من أقل من 100 مغادر لتقفز إلى أكثر من 10000 مغادر سنويا. ميزت معظم هذه البلدان أنها حديثة الانضمام إلى الاتحاد الأوروبي، وأنها تقع في أوروبا الشرقية وقد عايشت اضطرابات سياسية خلال سنوات التسعينات لتعرف حركة بينية كثيفة (داخل الاتحاد). وهذه الدول هي جمهورية التشيك، استونيا، كرواتيا، قبرص، ليتوانيا، لتوانيا، سلوفينيا، مالطا، سلوفاكيا، باستثناء كل من فنلندا ولكسمبورج، والمجر التي عرفت استقراراً في تدفقات هجرة المغادرة منها من 1998 إلى 2012. (أنظر الريم البياني رقم 1)

ما نستنتج من الرسم البياني السابق (رقم 1) الذي يبرز هجرة المغادرة من دول الاتحاد الأوروبي أن:

- هناك دول عرفت هجرة مغادرة تميزت بنوع من الاستقرار خلال العشرية الماضية كالدنمارك، والسويد، وبلجيكا، وفنلندا، ولكسمبورج، وإيرلندا، والمملكة المتحدة، وهولندا وإيطاليا وبأعداد هامة.
- توجد بالمقابل دول أخرى شهدت انخفاضاً محسوساً في تدفقات المهاجرين منها في المدة الممتدة ما بين 2008 و2010 كالنمسا، والبرتغال، وألمانيا، لتعاود الارتفاع الطفيف فيما بعد، وقد نعزو الانخفاض الملاحظ كفرضية أولى إلى أثار الأزمة المالية العالمية التي أثرت على العديد من الدول، مما أدى إلى تراجع هجرة المغادرة من هذه الدول نحو أماكن أخرى وعملت هذه الأزمة في الوقت نفسه كمثبط للهجرة وخاصة هجرة العودة إلى بلدان المنشأ أو تأجيلها إلى وقت لاحق.

الرسم البياني رقم 1: الحركة الإجمالية لتدفقات هجرة المغادرة من دول الاتحاد الأوروبي ما بين 1998 و2012⁶.



المصدر: أوطالب نعيمة، عن إحصائيات الاتحاد الأوروبي، www.eurostat.ec.europa.eu

• وهناك دول أخرى برزت بها هجرة المغادرة بكثافة خاصة بعد 2008 كإسبانيا وبولونيا. أما دول أوروبا الشرقية فهجرة المغادرة بها كانت متذبذبة وكبيرة على امتداد سنوات 2000 نظرا لأوضاعها السياسية السابقة واحتمال تأثرها بالأزمة العالمية لاحقا.

3. التركيبة البشرية للمغادرين من دول الاتحاد الأوروبي:

1.3. أعمار المغادرين من دول الاتحاد الأوروبي: تراوحت أعمار المغادرين من 15 سنة إلى 45 سنة من كافة بلدان الاتحاد الأوروبي، وشملت خاصة فئة الشباب 25-34 سنة، التي كانت تسجل ذروة المغادرة في كل سنة وعلى مدار 12 سنة. أما فئة المهاجرين المغادرين الأراضي الأوروبية الذين تراوحت أعمارهم من 65 فما فوق فهي تتناسب طرديا مع الحجم الكلي لهجرة المغادرة، أي كلما ازداد الحجم الكلي للمغادرين سنويا فإن عدد المغادرين الذين تجاوزوا 65 سنة يزداد وتتطبق هذه الملاحظة على كل من الدنمارك والمملكة المتحدة بأكثر من 11000 مغادر، وألمانيا بأكثر من 14000، وإسبانيا بأكثر من 15000، وفرنسا بأكثر من 25000 مغادر تجاوزوا 65 سنة حسب معطيات 2012.

2.3. جنس المغادرين من الاتحاد الأوروبي: تعد هجرة الرجال عامة من دول الاتحاد الأوروبي هي السمة الغالبة عند بعض الدول كبلجيكا، والدنمارك، وألمانيا، وإيرلندا، وإسبانيا، وإيطاليا، وقبرص، وهولندا، والنمسا، والسويد

⁶ استثنينا في هذه التمثيلات البيانية الدول التي بها نقص ملحوظ في إحصائيات هجرة المغادرة كفرنسا واليونان ورومانيا

والمملكة المتحدة. إلا أن هجرة النساء احتلت المراتب الأولى في كل من جمهورية التشيك، وأستونيا، وكرواتيا، ولتوانيا، والمجر، ورومانيا، وسلوفاكيا. بينما تتقارب أعداد المهاجرين من النساء والرجال في كل من لكسمبورج، وبلغاريا، وسلوفينيا. ما هو ملاحظ أن هجرة المغادرة من أوروبا الشرقية تعد هجرة استقطبت فئة النساء خلال العشرية الماضية كهجرة حديثة النشء وقد يعود هذا إلى الأوضاع السياسية الصعبة التي شهدتها هذه البلدان خلال التسعينيات. عكس ما تميزت به بعض البلدان من هجرة الرجال، والتي عرفت هجرة وفود مهمة إلى أراضيها منذ أكثر من خمسين سنة.

3.3. جنسيات المغادرين من الاتحاد الأوروبي: تنتج تيارات هجرة المغادرة من الاتحاد الأوروبي بصفة عامة نحو العديد من دول العالم. وتظهر في المرتبة الأولى التيارات البيئية كسمة غالبية على تحركات المغادرين، وتتنحصر "الهجرة البيئية" في حركة المهاجرين داخل فضاء شققن وبين دول الاتحاد نفسها وهذا ما لوحظ من تدفقات المغادرين من دول أوروبا الشرقية نحو باقي دول الاتحاد. كما قد يحدد المغادرون أنفسهم وجهات أخرى نحو باقي دول الشمال (تبادل من الشمال نحو الشمال)، وتدفقات تالثة نحو الجنوب بما فيها دول المغرب العربي الثلاثة (المغرب والجزائر وتونس).

وضمن هذه التدفقات تتداخل هجرة المغادرة مع هجرة العودة إلى دول المنشأ، ويصبح من الصعب التفريق بينهما وفصلهما عن بعضهما البعض خاصة بالنسبة للذين حصلوا على جنسية البلد المضيف وكذا أفراد عائلاتهم الذين ولدوا بالمهجر بعد قضائهم مدة زمنية طويلة بديار الغربة. وما لاحظناه عن هجرة المغادرة من دول الاتحاد الأوروبي أن أغلب المهاجرين لا يحملون جنسية البلد الذي أحصوا به كمغادرين، والذين يحملون جنسية البلد الذي غادروه هم أقل بكثير من جملة المغادرين الذين احتفظوا بجنسياتهم الأصلية. ويمكن تتبع هذا العدد بانتظام خلال العشرية الماضية في 11 دولة من أصل 28 دولة أوروبية، وهي كل الدنمارك، وإسبانيا، وإيطاليا، ولتوانيا، ولكسمبورج، والمجر، وهولندا، والنمسا، وسلوفينيا، وفنلندا، والسويد، الجدول رقم 1.

الجدول رقم 1: عدد المغادرين من بعض دول الاتحاد الأوروبي الذين يحملون جنسية البلد الذي غادروه ما بين 1998 و2012 مقارنة بالمغادرين إجمالاً

2012	2011	2010	2009	2008	2007	2006	2005	2004	2003	2002	2001	2000	1999	1998	الدول	
43 663	41 593	41 456	39 899	38 356	41 566	46 786	45 869	45 017	43 466	43 481	43 980	43 417	41 340	40 340	المغادرون	الدنمارك
14 753	15 031	14 661	14 379	15 730	23 771	26 339	26 249	25 936	25 272	25 731	26 688	26 887	25 098	24 693	من يحملون جنسية البلد	
446 606	409 034	403 377	380 121	288 432	227 065	142 296	68 011	55 092	64 298	36 605	:	:	:	:	المغادرون	اسبانيا
57 266	55 473	40 157	35 989	33 506	28 091	22 042	19 290	13 156	36 646	29 674	:	:	:	:	من يحملون جنسية البلد	
106 216	82 461	78 771	80 597	80 947	65 196	75 230	65 029	64 849	62 970	49 383	56 077	56 601	64 873	45 889	المغادرون	إيطاليا
67 998	50 057	45 954	48 327	53 924	44 880	58 256	49 078	50 830	50 084	39 401	:	47 480	56 283	37 952	من يحملون جنسية البلد	
41 100	53 863	83 157	38 500	25 750	30 383	32 390	57 885	37 691	26 283	16 719	27 841	2 616	1 369	2 130	المغادرون	لتوانيا
38 479	51 505	79 315	33 522	21 793	27 592	29 678	54 571	35 279	22 822	13 129	24 014	2 023	850	1 221	من يحملون جنسية البلد	
10 442	9 264	9 302	9 168	10 058	10 674	9 001	8 287	8 480	7 746	9 452	8 824	8 121	8 075	7 574	المغادرون	لكسمبورج
1 844	1 793	1 651	1 848	2 100	2 033	1 323	1 117	983	886	1 183	1 199	1 096	1 172	858	من يحملون جنسية البلد	
22 880	15 100	13 365	10 483	9 591	4 500	4 314	3 658	3 820	3 122	3 126	2 591	2 540	2 821	3 059	المغادرون	المجر
12 964	12 413	7 318	4 883	5 350	367	358	338	354	569	738	647	332	361	716	من يحملون جنسية البلد	
110 431	104 201	95 970	92 825	90 067	91 287	91 028	83 399	75 049	68 885	66 728	63 318	61 201	59 023	60 441	المغادرون	هولندا
56 181	57 155	51 872	52 817	59 364	62 250	64 552	59 415	51 500	47 015	45 571	42 921	40 474	38 358	39 175	من يحملون جنسية البلد	
51 812	51 197	51 651	53 244	51 563	49 898	74 432	70 133	71 721	71 996	74 831	72 654	64 472	66 923	64 272	المغادرون	النمسا
15 443	14 401	:	:	18 168	17 828	19 387	20 333	21 703	23 056	30 353	21 644	18 224	19 644	19 407	من يحملون جنسية البلد	
14 378	12 024	15 937	18 788	12 109	14 943	13 749	8 605	8 269	5 867	7 269	4 811	3 570	2 606	6 708	المغادرون	سلوفينيا
8 191	4 679	3 905	3 717	4 766	3 178	2 703	2 077	2 265	1 887	2 624	1 442	1 559	963	705	من يحملون جنسية البلد	
13 845	12 660	11 905	12 151	13 657	12 443	12 107	12 369	13 656	12 083	12 891	13 153	14 311	11 966	10 817	المغادرون	فلندا
9 619	9 326	8 782	8 114	9 161	9 330	9 394	9 737	9 470	9 805	10 134	10 996	10 183	9 966	9 126	من يحملون جنسية البلد	
51 747	51 179	48 853	39 240	45 294	45 418	44 908	38 118	36 586	35 023	33 009	32 141	34 091	35 705	38 518	المغادرون	السويد
25 116	27 506	26 792	20 883	26 052	24 990	24 875	22 266	20 565	19 889	18 813	19 439	21 515	22 123	24 381	من يحملون جنسية البلد	

المصدر: البيانات مستقاة من قسم الإحصائيات بالاتحاد الأوروبي 2014، الإحصائيات منسقة من طرف الباحثة عن عدة جداول.

أما البلدان التي لم يرد ذكرها بالجدول رقم 1 فهي تعطي إحصائيات حول المغادرين منها بصفة عامة، لكنها لا تعطي معلومات كافية عن المغادرين الذين يحملون جنسيتها. إضافة إلى ذلك لا توجد إحصائيات الجنسية في كل من فرنسا واليونان والبرتغال.

وما نستخلصه من الجدول أن أكثر من نصف المغادرين من دول الاتحاد يحملون جنسيات مختلفة، وقد تكون فرضية هجرة العودة هي الأكثر احتمالا من هجرة الشمال نحو الجنوب التي قد تبقى محدودة حسب الإحصائيات المتاحة، وتحتاج بالضرورة إلى دراسات معمقة.

4. بلدان المغرب العربي كوجهة لمهاجري بلدان الاتحاد الأوروبي

أما فيما يتعلق بحصة بلدان المغرب العربي، خاصة تونس والجزائر والمغرب، من هجرة المغادرة من دول الاتحاد الأوروبي نحوها فهي ضئيلة ومتواضعة جدا حسب قسم الإحصائيات الخاصة بالاتحاد الأوروبي، على عكس هجرة الوفود التي تتميز بزخم في إحصائياتها وصلت لدرجة تحديد أنواع هجرة الوفود من هجرة عمالة مؤهلة وغير مؤهلة، وهجرة الكفاءات... الخ.

ما يمكن أن نقرأه من هذه الإحصائيات يلخصه الجدول رقم 2 الذي يوضح بدوره عدد المغادرين حسب "الإقامة القادمة" ويشير إلى أن ثمان دول أوروبية يغادر منها من يتجه مباشرة إلى المغرب والجزائر وتونس، وهذه البلدان الثمانية هي: ألمانيا وإسبانيا وإيطاليا والنمسا وإيرلندا والدنمارك وهولندا والسويد. وقد يعود السبب إلى أن البلدان المذكورة تتميز باستقبالها للجالية المغربية بأراضيها تعدت الأجيال الثلاثة (Sayad, 1977). فهل يا ترى هي هجرة عودة إلى الديار أم تعد هجرة مغادرة من الاتحاد الأوروبي نحو المغرب العربي؟ وهذا يطرح إشكالية أخرى تماما، تحتاج بدورها إلى الدراسة والاستقصاء.

ونظرا لقلّة الإحصائيات الصادرة عن الاتحاد الأوروبي التي قننت الدراسة في حدود وصف الرقم بالعموم، اضطررنا إلى البحث عن مصادر أخرى وجدناها غطت بعض العناصر لكنها لازمت هي الأخرى الدراسة الوصفية مثلما يقدمه التقرير الإقليمي لمنظمة جامعة الدول العربية الصادر سنة 2014 عن قسم السياسات السكانية والهجرة حول موضوع *الهجرة الدولية والتنمية* في الدول العربية الذي أثار الموضوع ببعض الإحصائيات.

تجدد بنا الإشارة أن دول المغرب العربي كمستقبل لوفود المغادرين من دول الاتحاد الأوروبي ليست وجهة محورية حسب ما ورد من إحصائيات أوروبية. تشوب البيانات كثير من النقائص منها: محدودية تغطيتها للمغادرين من الدول الأوروبية، هذا ما تقابله تسجيلات محلية ناقصة للهجرة الدولية الوافدة إلى دول المغرب العربي، التي كثيرا ما تعتمد على التعدادات السكانية (Musette et al., 2006) فقط وبعض المصادر الثانوية الأخرى.

زد على ذلك، وأنه ما توافر لنا من معطيات يبرز أنه لا تعد كل دول الاتحاد الأوروبي وجهتها مغربية بامتياز، وأن ثمان دول أوروبية من مجموع دول الاتحاد، كما أسلفنا الذكر، يغادر منها أعداد ليست بالكثيرة لكنها تجعلنا نقف عندها ونستعرضها بالجدول رقم 2.

ما يستوقفنا أن هناك دولاً لا توجد بها إحصائيات خاصة بدول المغرب العربي الثلاثة كبلدان مستقبلية للإقامة القادمة وهي كل من بلغاريا، وأستونيا، واليونان، وفرنسا، وكرواتيا، وقبرص، وليتوانيا، ولكسمبورج، والمجر، ومالطا، والبرتغال، ورومانيا، وسلوفاكيا، وسلوفينيا، والمملكة البريطانية المتحدة حسب قسم الإحصائيات بالاتحاد الأوروبي. لا تمثل إحصائيات المغادرة في الدول الأوروبية المتبقية نحو بلدان المغرب العربي سوى أعدادا تكاد تكون ضعيفة لا تتعدى 50 مغادرا منها. فهل فعلا دول المغرب العربي لا تستقبل الجالية المهاجرة من دول الاتحاد الأوروبي أم المشكل هو مشكل تسجيل إحصائي فقط أثر في الحجم الكلي لتدفقات هجرة المغادرة؟

صحيح أن الإحصائيات لعبت دورا مهما في ضبابية الهجرة من دول الاتحاد الأوروبي نحو دول المغرب العربي الثلاثة، إلا أنها توضح أن المغرب الأقصى كان أكثر البلدان المغاربية التي عرف مهاجروها حركية لافتة للانتباه سواء كمغادرين منه أو وافدين إليه مقارنة بالجزائر وتونس. وهذا ما قد يعزز فرضية هجرة العودة خاصة بالنسبة للذين غادروا إسبانيا بعد 2007 ليصل عددهم سنة 2012 إلى أكثر من 37 ألفا، فهل نعتبرهم "كعائدين" إلى المغرب أم كمهاجرين من إسبانيا نحو هذا البلد؟

تعد ألمانيا ثاني بلد عرف هجرة نحو بلدان المغرب العربي وذلك حسب الأرقام المنشورة عن قسم الإحصائيات بالاتحاد الأوروبي والتي حافظت على مستوى تدفقاتها بانتظام طيلة عشرية من الزمن أي من 1998 إلى 2008 جاوز الألف مغادر منها متوجها إلى تونس ليصل إلى أكثر من ألفي مهاجر متوجهين إلى كل من الجزائر والمغرب. وجاءت في المرتبة الثالثة كل من إيطاليا وهولندا مسجلتين بذلك هجرة مغادرة مهمة خاصة نحو المغرب الأقصى.

الجدول رقم 2: المغادرون من بعض بلدان الاتحاد الأوروبي ومتوجهين إلى دول المغرب العربي الثلاثة كإقامة مقبلة ما بين (1998-2012).

الدول	1998	1999	2000	2001	2002	2003	2004	2005	2006	2007	2008	2009	2010	2011	2012
إسبانيا	المغرب	:	:	:	:	954	1 125	1 898	2 529	3 138	24 586	29 482	33 351	36 999	37 587
	الجزائر	:	:	:	:	103	308	392	350	326	2 859	3 677	4 211	5 107	4 921
	تونس	:	:	:	:	20	27	41	51	21	87	61	34	48	102
إيطاليا	المغرب	:	:	16	:	1 075	749	981	1 068	969	977	1 079	2 015	1 642	2 054
	الجزائر	:	:	168	:	247	115	163	153	159	196	204	204	192	202
	تونس	:	:	4	:	584	429	489	450	437	483	539	666	726	903
ألمانيا	المغرب	2 815	2 616	2 907	2 726	2 791	3 033	2 722	2 312	2 430	2 982	:	:	:	:
	الجزائر	2 180	2 148	2 417	2 147	2 057	2 193	2 196	1 386	1 335	1 435	:	:	:	:
	تونس	1 749	1 400	1 393	1 416	1 444	1 301	1 505	1 422	1 474	1 918	:	:	:	:
النمسا	المغرب	71	89	72	:	39	48	78	81	34	75	:	87	51	:
	الجزائر	142	82	54	:	63	68	82	135	62	62	:	81	71	:
	تونس	113	98	125	:	78	106	88	139	63	83	:	87	80	:
إيرلندا	المغرب	:	:	:	:	:	:	:	83	38	30	39	41	40	42
	الجزائر	178	65	52	60	70	72	77	:	:	:	:	:	:	:
	تونس	:	:	:	:	:	:	:	33	14	11	15	16	16	16
الدنمارك	المغرب	66	80	90	85	45	59	57	56	69	63	45	39	37	62
	الجزائر	9	6	18	12	15	16	6	21	5	6	16	8	4	11
	تونس	29	20	16	29	17	28	36	24	25	8	33	23	23	25
هولندا	المغرب	796	723	653	688	618	792	820	774	868	851	:	:	:	1 018
	الجزائر	14	18	18	32	29	18	40	32	29	25	:	:	:	29
	تونس	128	98	65	57	63	60	52	62	95	69	:	:	:	128
السويد	المغرب	52	64	42	25	53	37	45	78	46	52	56	57	48	78
	الجزائر	10	23	8	4	10	10	20	17	35	19	19	21	10	27
	تونس	69	61	66	28	33	50	72	64	69	62	61	61	78	59

المصدر: البيانات مستقاة من قسم الإحصائيات بالاتحاد الأوروبي 2014، الإحصائيات منسقة من طرف الباحثة عن عدة جداول.

وما يدعم ما جاءت به إحصائيات الاتحاد الأوروبي، هو ما ورد تقريبا في تقرير "الهجرة الدولية والتنمية" من إحصائيات رقمية تكاد تجزم إن لم نقل تؤكد على نقص البيانات القطرية أو العربية الكافية لدراسة ظاهرة الهجرة. إذ يعتمد تقرير الجامعة العربية الصادر سنة 2014 كما أسلفنا الذكر على الإحصائيات الصادرة عن هيئات دولية أخرى، وينوه في الوقت نفسه على أن المنطقة العربية تعد من بين أهم مناطق العالم المستقبلية والمرسلة للهجرة (جامعة الدول العربية، 2014، ص7). (أنظر الجدول رقم 3)

الجدول رقم 3: الدول المغاربية مرسلة ومستقبلة للهجرة الدولية

البلدان	السكان 2013	نسبة المهاجرين الدوليين من جملة السكان		المهاجرون الوافدون		المهاجرون المغادرون	
		2013	2000	2013	2000	2013	2000
المغرب	33 مليون	0,2	53124	50771	1970467	2868828	
الجزائر	39,2 مليون	0,7	250110	270407	1036939	1763789	
تونس	11 مليون	0,3	36212	36526	488122	658364	
المغرب العربي	93,3 مليون		960809	1203884	3884581	5795205	

المصدر: التقرير الإقليمي للهجرة الدولية العربية: "الهجرة الدولية والتنمية"، الجامعة العربية 2014، الإحصائيات عن هيئة الأمم المتحدة، 2013. الإحصائيات منسقة من طرف الباحثة عن عدة جداول.

وصل عدد المهاجرين من دول المغرب العربي إلى 5,8 مليون عام 2013 أي بزيادة قدرها 1,9 مليون عن عام 2000، مسجلين بذلك معدل تغير سنوي بلغ 3% (جامعة الدول العربية، 2014، ص 13-14). وتعتبر كل من المغرب والجزائر وتونس أكبر الدول المرسلة للمهاجرين خاصة إلى أوروبا كما قد تمثل مستقبل جيد للهجرة القادمة من الساحل الأفريقي كمرحلة أولية للانتقال نحو أوروبا (Musette et al., 2006).

إلا أن هذه المنطقة (المغرب العربي) تتميز بأنها إقليم غير جاذب للهجرة الدولية بشكل عام حيث وصلت النسبة إلى أدنى مستوياتها في المغرب لتصل إلى أقل من 0,2 % من جملة السكان ما بين 2000 و 2013، بينما قاربت الجزائر 1% وتونس 0,3% من جملة السكان (جامعة الدول العربية، 2014، ص14).

يعطي الجدول رقم 4 فكرة واضحة تؤكد أن بلدان المغرب العربي ليست قطبا جاذبا للمهاجرين من بلدان الاتحاد الأوروبي بما فيها بلدان أوروبا الشرقية، والتي عرفت اضطرابات سياسية سنوات التسعينات وعرفت نزوحا كبيرا من قبل وسجلت حركة بينية داخل الاتحاد أو حتى تلك الدول التي أثرت فيها الأزمة المالية العالمية لسنة 2008.

الجدول رقم 4: وجهة المهاجرين المغادرين من بعض دول الاتحاد الأوروبي نحو دول المغرب العربي سنة 2013.

البلدان	فرنسا	إيطاليا	المملكة المتحدة	ألمانيا
المغرب	17175 4961*	2080	*712	1370*
الجزائر	1116	1486	1606	1561
تونس	3305	1384		

المصدر: التقرير الإقليمي للهجرة الدولية العربية: "الهجرة الدولية والتنمية"، الجامعة العربية 2014، الإحصائيات عن هيئة الأمم المتحدة، 2013. الإحصائيات منسقة من طرف الباحثة عن عدة جداول.

(*Ces données pour l'année 2003, In Musette S. M. et al., (2006) : « Les systèmes d'informations statistiques sur les travailleurs migrants au Maghreb Central », In Cahier des Migrations internationales. Edition Bureau international du travail.

بينما بقيت الهجرة مستمرة من بعض الدول كفرنسا وإيطاليا والمملكة المتحدة وألمانيا نحو كل من المغرب والجزائر وتونس بأعداد ضئيلة لا تضاهي هجرة هذه الأخيرة نحو الاتحاد الأوروبي في حد ذاته، ومن المحتمل أن تكون أقل بكثير إذا ما احتسبنا بها هجرة العودة إلى بلدان المنشأ بحكم أن دول الاتحاد المذكورة بالجدول هي مستقطبة تاريخية للجالية المغاربية منذ أكثر من خمسين سنة أو حتى قبل ذلك.

الخلاصة

تبقى الهجرة من دول الاتحاد الأوروبي نحو دول المغرب العربي الثلاثة - الجزائر والمغرب وتونس - تتسم بميزة الضبابية لنقص المعلومات الإحصائية الدقيقة عنها وحتى الدراسات الكيفية التي قد تتعرض لدراسة كل جالية على حدى. فكثيرا ما تعطي التغطية الإحصائية الحالية معلومات ناقصة لا تبين الحجم الفعلي لهجرة المغادرة سواء استندنا إلى قواعد بيانات قسم الإحصائيات بالاتحاد الأوروبي أو إلى التقارير الخاصة بالهجرة الصادرة عن الهيئات المحلية والعربية بما فيها تلك الصادرة عن الجامعة العربية.

إلا أنه يعد ممكنا وحسب الإحصائيات المتاحة والمنشورة وتحديد وجهات المغادرين من دول الاتحاد الأوروبي بتحفظ شديد. وما استخلصناه أن هناك لا تكافؤ في حجم المغادرين من دول الاتحاد الأوروبي نحو دول المغرب العربي، ومن هذه الأخيرة نحو دول الاتحاد. إضافة إلى أنه لا تستقطب دول المغرب العربي (الجزائر والمغرب الأقصى وتونس) العدد الكثير من المغادرين من دول الاتحاد. وما لاحظناه وبصفة خاصة هو تداخل هجرة المغادرة مع هجرة العودة. إذ لا يمكننا في الوقت الراهن أن نحدد نوع هذه الهجرة: ونستفسر عن ما إذا هي هجرة عودة أم فعلا تعد هجرة مغادرة. كما لا يمكننا أن نعرف غاية هذه الهجرة، ما إذا كانت لغاية استثمارية أم هجرة عمالة أم تحمل سمات أخرى حتى يجرى استبيان أو جرد كلي للفئة المهاجرة في الدول المغاربية ويجري في الوقت نفسه متابعتها بدول الاتحاد الأوروبي لمقارنة البيانات وتصحيحها من كلا الجانبين.

لنعود في آخر المطاف ونساعل بعمق عن ميزة وخصائص الهجرة من دول الاتحاد الأوروبي نحو دول المغرب العربي، وإن تبين لنا أن فرضية هجرة العودة إلى دول المنشأ التي استخلصناها من الإحصائيات قد تكون هي السمة الغالبة. لكن على أرض الواقع، قد لا نعتبر أن هذا النوع من الهجرة هو هجرة مغادرة من دول الاتحاد الأوروبي نحو دول المغرب العربي لأنها تدفقات ذات أصول مغاربية طبعت بسمة أوروبية خاصة بالنسبة للذين ولدوا بأرض المهجر وغادروها إلى بلدان منشئهم.

المصادر

جامعة الدول العربية (2014): "الهجرة الدولية والتنمية"، التقرير الإقليمي للهجرة الدولية العربية. نشر إدارة السياسات السكانية والمغتربين والهجرة، القطاع الاجتماعي، جامعة الدول العربية، القاهرة، 127 صفحة.

Musette S. M. et al., (2006) : « Les systèmes d'informations statistiques sur les travailleurs migrants au Maghreb Central », In Cahier des Migrations internationales. Edition Bureau international du travail.

SAYAD A. M. (1977) : « Les trois 'âges' de l'émigration algérienne en France », In Actes de la recherche en sciences sociales. Vol.15, juin 1977. Sociologie historique du mandarinat. pp. 59-79.

قاعدة البيانات الإحصائية الصادرة عن قسم الإحصائيات بالاتحاد الأوروبي الخاصة بهجرة المغادرة www.eurostat.ec.europa.eu

Règlement (CE) N° 862/2007 du parlement européen et du conseil du 11 Juillet 2007.